الكاف والذال وتخفيف الذال يريد حتى اذا استيأس الرُّسُلُ من إيمان قومهم وظن قومهم أن الرسلَ قد كذبوا فى ما بَلَّغُوهُمْ عن الله سبحانه وتعالى. وروى حجاج عن ابن جريج عن ابن أبى مليكة عن ابن عباس رضى الله عنه أنه قرأ كُذِبُوا بضمّ الكافِ وكسر الذالِ وتخفيفهما وقالوا كانوا بشراً يعنى الرسل يذهب إلى أن الرسل ضعفوا فظنُّوا أنهم قد أُخلِفُوا ﴿قال أبو محمد﴾ وهذه مذاهب مختلفة والالفاظ تحتملها كلها ولا نعلم ما أراد الله تعالى غير أن أحسنها فى الظاهر وأولاها بأنبياء الله عز وجل ما قالت عائشة رضى الله عنها ﴿غ﴾ (مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى) أى يختلق ويُصْنَعْ.

﴿غريب سورة الرعد ومشكلها﴾

(جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ) أى من كل الثمرات لونين حلواً وحامضاً والزوج هو اللون الواحد (وَسَخَّرَ الشَّمْسَ والقَمَرَ) ذَلَّلهما وقصرهما على شىءٍ واحد (وفى الأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجاوِرَاتٌ) يعنى قرى متجاوراتٍ (والصنوان) من النخل النخلتان والثلاث يكون أصلها واحداً (وغير صِنْوَانٍ) يعنى متفرق الأصول ومن هذا قيل لعم الرجل صنو أبيه (وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فى الأُكُلُ) أي فى الثمر (ويَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ) أى بالعقوبة (قَبْلَ الحَسَنَةِ) أى قبل العافية (وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ المَثُلاتُ) أي العقوبات وأصل المثلة الشبيه والنظير وما يعتبر به يريد من

خلا من الأمم (ولِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ) أى نبى يدعوهم (وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ) أى ما تنقص فى الحمل عن تسعة أشهر من السقط وغيره (وما تَزْدَادُ) على التسعة يقال غاض الماء إذا نقص وغضته (وسَارِبٌ بالنَّهَارِ) أى متصرف فى حوائجه يقال سَرَبَ يَسْرَبُ قال الشاعر[1]

أرى كلّ قومٍ قاربُوا قَيْدَ فَحْلِهِم * ونحن خلعنا قَيْدَهُ فهو سَارِبُ

أى ذاهب (له مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ) يعنى ملائكة تعقب بعضها على بعض والليل والنهار إذا مضى فريق خلف بعده فريق (يَحْفَظُونه مِنْ أَمْرِ اللهِ) أى بأمر الله (وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ) أى ولى مثل قدير وقادر وحفيظ وحافظ (يُرِيكُمُ البَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا) خوفا للمسافر وطمعا للمقيم (وَهُوَ شَدِيدُ المحَالِ) أى الكيد والمكر وأصل المحال الحيلة والحول الحيلة قال ذو الرمة

ولَبَّسَ بين أقوام فكلٌّ أعدّ له الشغازبَ والمحالا

﴿ش﴾ (لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إلى الماءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ) أى لا يصير فى أيديهم منه إذا دعوهم إلاّ ما يصير فى يدى من قبض على الماء ليبلغ فاه والعرب تقول لمن طلب ما لا يجد هو كالقابض على الماء قال الشاعر

فانى وإياكم وشوقا إليكم كقابض ماء لم تسقه أنامله

لم تسقه أى لم تحمله والوسق الحمل (وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فى السمواتِ

---

(١) فى لسان العرب : وكل أناس قاربوا قيد فحلهم

والأرض طَوْعًا وكَرْهًا) أى يستلم وينقاد ويخضع من فى السموات من الملائكة ومن فى الأرض من المؤمنين طوعا ويستلم من فى الأرض من الكافرين كرها من خوف السيف (وظِلَالُهُمْ بِالغُدُوِّ والآصَال) مستسلمة وهو مثل قوله عز وجل ـ وله أَسْلَمَ مَنْ فى السَّموات والأرض طَوْعًا وكَرْهًا وإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ـ (فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِها) أى على قدرها فى الصغر والكبر (فاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رابِيًا) أى زبدا عاليًا على الماءِ (ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ) أى حلىٍ (أو مَتَاعٍ) آنية يعنى أن من فِلزِّ الأرض وجواهرها مثل الرصاص والحديد والصُّفْر والذَّهب والفضة خبثًا يعلوها إذا أُذيب مثل زبد الماء (والْجُفَاءُ) مارماه الوادى الى جنباته ويقال أَجْفَأَتْ القدر بزبدها إذا ألقت زبدها عنها هذا لفظ الغريب ﴿وقال فى المشكل﴾ هذا مثل ضربه الله عز وجل للحق والباطل وإن ظهر على الحق فى بعض الأحوال وعلاه فان الله سبحانه سيمحقه ويبطله ويجعل العاقبة للحق وأهله ومثل ذلك مطر جود أسال الأودية بقدرها الكبير على قدره والصغير على قدره ـ فاحتمل السيل زبدًا رابيًا ـ أى عاليا على الماء كما يعلو الباطل تارة على الحق ومن جواهر الأرض التى تدخل الكير ويوقد عليها يعنى الفضة والذهب للحلية والشبَهَ والحديد للآلة حيث يعلوها مثل ربد الماء (فأَمَّا الزَّبَدُ فيذهَبُ جُفَاءً) أى يلقيه الماء فيتعلق بأُصُولِ الشجر وبجنبات الوادى وكذلك خبث الفلز يقذفه الكيرُ فهذا مثل الباطل (وأَمَّا ما) الذى (يَنْفَعُ النَّاسَ) وينبت المرعى (فيَمْكُثُ فى الأرض)

وكذلك الصفر من الفاز يبقى خالصا لا شوب فيه فهو مثل الحق ﴿غ﴾ (ويدرؤن بالحسنة السيئة) أى يدفعون السيئة بالحسنة كأنهم إذا سفه عليهم حلموا والسفه سيئة والحلم حسنة ومثله ـ ادْفَعْ بالّتى هِىَ أَحْسَنُ فَاذَا الَّذى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كأَنَّهُ وَلىٌّ حميم ـ يقال درأ الله عنى شرك أى دفعه فهو يدرؤه درأ (يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلامٌ عَلَيْكُمْ) أى يقولون سلام عليكم فحذف اختصارا كما مر فى باب الاختصار ومثله ـ وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الجِبَالُ أو قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أو كُلِّمَ بِهِ الموْتَى ـ أراد لكان هذا القرآن فحذف اختصارا (أَفَلَمْ يَيْأَسِ الذِينَ آمَنُوا) أى أفلم يعلم يقال هى لغة للنخع قال الشاعر[1]

أقولُ لهم بالشِّعْبِ إذْ يَأْسِرُونَنى ألَمْ تَيْأَسُوا أنى ابن فارس زَهْدَمِ

أى ألم تعلموا (قَارِعَةٌ) داهية تقرع (أَوْ مُصِيبَةٌ) تنزل وأراد أن ذلك لا يزال يصيبهم من سرايا رسول الله ﷺ (فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا) أى أمهلتهم وأطلت لهم (أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ) الله عز وجل هو القائم على كل نفس بما كسبت يأخذها بما جنت ويثيبها بما أحسنت (لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ) أى وقت قد كتب (يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ) أى ينسخ من القرآن ما يشاء (وَيُثْبِتُ) أى يدعه فلا ينسخه وهو المحكم (وعِنْدَهُ أُمُّ الكِتَابِ) أى جملته وأصله وفى رواية أبى صالح أنه يمحو من كتب الحفظة ما تكلم به الانسان مما ليس له ولا عليه ويثبت ما عليه وما

(١) هو سحيم بن وثيل اليربوعى . وفى اللسان : يسرونى .

له (نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا) أى بموت العلماء والعباد ويقال بالفتوح على المسلمين كأنه ينقص المشركين مما فى أيديهم (لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ) أى لا يتعقبه أحد بتغيير ولا نقصان ﴿ ومن المشكل ﴾ قال أبو محمد فى باب الحكاية عن الناحلين إلى القرآن العزيز التناقض والاختلاف كيف قال (فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ) كيف يكون عليه البلاغ بعد الوفاة وقالوا (مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ) أين الشىء الذى جعلت له الجنة مثلا ؟ هل يجوز أن يقال مثل الدار التى وعدتك سكناها يطرد فيها نهر وتظلك فيها شجرة ويمسك القائل ﴿ ثم قال أبو محمد ﴾ فى باب الردّ عليهم أما قوله عز وجل ـ فاما نرينك بعض الذى نعدهم أو نتوفينك فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب ـ فانه لم يرد أن عليك البلاغ بعد الوفاة كما ظنوا وإنما أراد إن أريناك بعض الذى نعدهم فى حياتك أو نتوفينك قبل أن نريك ذلك فليس عليك إلا أن تبلغ وعلينا أن نجازى ، ومثل هذا رجل بعثته والياً وقلت له سِرْ إلى بلدِ فادعهم فان استجابوا لك فأحسن فيهم السيرة وابسط لهم المعدلة فان عصوك فعظهم وحذّرهم عقاب المعصية فان أقاموا على الغواية أعلمتنى ليأتيهم النكير فصار إليهم فمانعوه ووعظهم فخالفوه وأقام حينا مستبطئًا ما أوعدهم فقلت إن أريناك ماوعدناهم من العقوبة أو عزلناك قبل أن نريك ذلك فليس لك أن تستبطئنا إنما عليك التبليغ والعظة وعلينا